

القواعد التربوية المستنبطة من سورة الإسراء

محمد عبدالله محمد سليم الشحي¹ الأستاذ المشارك الدكتور رضوان جمال الأطرش²

ملخص البحث

يسلك الإنسان في حياته طرقا شتى للبحث عن كل شيء يسعده، وكل ما يطور حياته اجتماعيا أو علميا أو أخلاقيا أو سلوكيا، وتبقى التربية أساس تقدم الإنسان وبناء الحضارات، وقد اهتمت البشرية منذ القدم بأمور التربية، وتنوعت أساليبها، ولاقت التربية اهتماما كبيرا في الحضارة الإسلامية، وقد سعيينا جاهدين لإضافة ما يفيد الإنسان المسلم بشكل خاص وغيره بشكل عام في الأمور التربوية، مستندين إلى أعظم كتاب شهده التاريخ، وهو القرآن الكريم، آخر الكتب السماوية، واستخدمنا المنهج الاستقرائي والتحليلي، وسعيينا جاهدين إلى استخلاص بعض من القواعد التربوية من الآيات القرآنية الكريمة في سورة الإسراء، لتقديمها في قالب الأطروحة، وقمنا بذكر الآية، وذكر تفسيرها من بطون كتب التفسير المعتمدة، واستنباط قاعدة تربوية منها، مدعومة بأدلة الوحيين (القرآن والسنة)، وحرصنا على صحة الاستنباط بعيدا عن كل تأويل وتحريف، كما قمنا بتعريف القاعدة لغة واصطلاحا، وذكرنا الاستنباط وأقسامه وشروطه، وذكرنا سبب نزول سورة الإسراء، وقد شملت القواعد التربوية جوانب أربعة وهي العبادة والإيمان والأخلاق والسلوك، وآثارها على الفرد والأسرة والمجتمع، لكي نقرب من كل فئة، وبعدها انتقلنا إلى التطبيقات العملية في بعض الجوانب، وذكرنا أيضا التحديات المعاصرة وعلاج سورة الإسراء لها.

الكلمات المفتاحية: القواعد التربوية ، سورة الإسراء.

¹ طالب دكتوراه بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا uae1431@hotmail.com

² الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا radwan@iiu.edu.my

ABSTRACT

In his life, man follows various ways in his endeavor to research anything which would please him and develop his life socially, scientifically, ethically and behaviorally. Education remains the basis of human development and civilizational construct. Since the time immemorial, man has paid a special attention to educational matters through different methods, and specifically, it received a great attention in the Islamic civilization. We have sought to add the educational matters which could benefit Muslims in particular and non-Muslims in general, based on the most miraculous book witnessed in history, the Noble Qur'an, the last of the revealed scriptures. In an effort to achieve the objectives of this research, the inductive and analytical methods were employed to draw out some educational rules from the Qur'anic chapter called Sūrat Al-Isrā' in order to be presented in the form of thesis. The chapter was presented with its exegesis from the authorized books of Tafsīr. Afterwards, substantiated by both the Qur'an and Sunnah, educational rules were deduced. Also, we were keen on having valid inferences far from interpretations and distortions. Moreover, the term 'rule' was defined both literally and operationally, as well as its classifications and requirements. The occasion of revelation of the chapter (Sūrat Al-Isrā') was highlighted. The educational rules which comprise four aspects (worship (Al-'Ibādah), faith (Al-Īmān), ethics (Al-Akhlāq), and behavior (Al-Sulūq)) were discussed and their effects on individuals and the society. Then, we moved to practical applications in some aspects, shedding light on the contemporary challenges and how they are addressed by the chapter

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ] [سورة آل عمران: الآية: 102] [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] [سورة النساء: الآية: 1] [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا] [سورة الأحزاب: الآية: 70]، أما بعد:

فإن الله تعالى خلق الإنسان ليسعد، وأراه آياته الكونية والشرعية ليتفكر فيها ويرشد، وسخر له كل شيء حتى تستقيم حياته، فمن سار على منهج الكتاب والسنة عاش حياة هائلة سعيدة، وظفر براحة البال وهناءة العيش واطمئنان الروح في ظل المنهج المستقيم والاعتقاد القويم والتربية الصالحة، وهكذا كان واقع المسلمين في العهد الأول، ولكن عندما دخلت في العالم الإسلامي التيارات الكثيرة في شرقه وغربه والمخالفة للهدى الرباني والسنة المحمدية، وكثرت فتن الشبهات والشهوات؛ بدأ الخلل يدب في أوصال المسلمين، فانجرف بعضهم في تيار الأوهام والأحزان بعد أن كان متفياً ظلال اليقين والاطمئنان، فتوجب علينا أن نقوم بمحاولة لإرجاع هذا الإنسان إلى ما أراده الله له في حياته بالتقيد بالكتاب والسنة، وإرشاده إلى هذا المنبع العظيم منبع السعادة الدنيوية والأخروية، ومن الوسائل المعينة على ذلك تقويم الجوانب الأخلاقية والتربية التي يجب ولا ريب أن تكون مرتبطة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه الخلفاء الراشدون والعلماء الربانيون ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

إنّ الإنسان يحتاج إلى شيئين في حياته، الأول: الوسائل المادية لإشباع الحاجات البدنية، والثاني وهو الأهم: غذاء الروح والقلب الذي يأتي بالعلم والمعرفة لمبادئ العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك، والإنسان ليس صاحب متطلبات جسدية فحسب، بل هو أيضاً مكون من الروح التي تحتاج إلى غذاء إيماني، كما أنه عضو في المجتمع الإنساني، لذلك فهو في احتياج شديد إلى قواعد السلوك والتعامل مع غيره في حياته اليومية، في البيت، وفي السوق وفي الشارع،

وفي مراكز العمل، وفي السيارات والطائرات، وفي ظلمة الليل وفي ضوء النهار. وهذه القواعد اللازمة للتعامل الفردي والاجتماعي تنقسم وفقاً لمنطلقات الفرد إلى نوعين: القواعد التي يتصورها الإنسان على أساس أهوائه وفكره القاصر والقواعد التي أنزلها الله سبحانه وتعالى إلى الناس أجمعين عن طريق رسله، وهذه هي القواعد المنزلّة التي تهدي الإنسان إلى نجاح كامل شامل صحيح معتدل في كلا مظهري الحياة الدنيا والآخرة، فقد أنزل الله تعالى على نبيه الخاتم صلى الله عليه وسلم القرآن الحكيم؛ لكي يبين للناس إعجاز القرآن وما اشتمل عليه من أنواع الكمالات الهادية إلى أقوم السبل، وعلمه الله سبحانه وآتاه جوامع الكلم، فالقرآن حجة الله على جميع الناس صغيروهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم.

فالقرآن الكريم أنزله الله لهداية الخلق، وإيصالهم إلى طريق السعادة والنجاة والفرح والسرور، وبين لهم إعجاز هذا القرآن، وذكرهم بأنهم لا يستطيعون الاتيان بمثل هذا القرآن ولا بعشر سور ولا بسورة من مثله ولو فكروا وجمعوا كل الخليقة، حتى لو استعانوا بالجن فلن يأتوا بسورة واحدة من مثله، لأنه كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. والله تعالى خلق الناس وهو أعلم بسعادتهم، كما بين سبحانه وتعالى أنه لو شاء لهدى الناس جميعهم مسلمهم وكافرهم ولكن حكمته عز وجل بالغة، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الإنعام: الآية: 149]، والقرآن الكريم له منزلة كبيرة، فهو شفاء وهداية ونور ورحمة وحياة وبيّنات من الهدى والفرقان، يقول ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [سورة البقرة: الآية: 185]: "هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقوه واتبعوه وبيّنات ودلائل وحججاً بينة واضحة جلية لمن فهمها وتدبرها، دالة على صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال، والرشد المخالف للغي، ومفرقا بين الحق والباطل والحلال والحرام"¹.

وقال الله عز وجل حاثاً على تدبر القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: الآية: 82]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ

¹ ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. الثانية، 1420هـ - 1999م، ج 1 ص 502.

أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿[سورة الإنعام: الآية: 19]﴾، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة الإنعام: الآية: 19]، والقرآن أنزله الله ليعلم الناس في كل عصر من العصور الحل لمشكلاتهم سواءً أكانت دينية أم اجتماعية أم تربوية أم اقتصادية أم غيرها، وبمقدار تمسك الناس بالهدي القويم يحصل لهم الخير والسعادة، وما المصائب التي تصيب المجتمعات الإنسانية في الدنيا إلا ليرجعوا إلى خالقهم، ولعل من أكبر الزلازل في العصر الحديث زلزال كانتو العظيم الذي ضرب منطقته كانتو القريبة من طوكيو عام 1923م، وذهب ضحيته أكثر من مائة ألف نسمة، وأحدث الزلازل الكبيرة زلزال هانشن الكبير الذي ضرب منطقة كوبي جنوب أوساكا عام 1993م، وتسبب في أضرار كبيرة قدرت بستة آلاف قتيل وأكثر من أربعمئة ألف جريح وتدمير أكثر من مائة ألف بيت¹، وما هذه الزلازل إلا واحدة من الآيات الكونية الكثيرة التي يجب أن يعتبر بها الإنسان ولا تمر عليه مروراً عابراً، ويتمسك بالقيم الإيمانية والأخلاقية، ويرجع إلى خالق هذا الكون وهو الله سبحانه وتعالى الذي أنزل إلى البشر القرآن الكريم ليفوزوا بخير الدنيا والآخرة.

ولقد اشتمل القرآن الحكيم على القواعد الجامعة العظيمة الكثيرة في العقائد والأحكام والأخلاق والسلوك والتربية وغيرها، فهو معين لا ينضب، ونور مشرق لا ينطفئ، وقد اشتملت السور القرآنية على القواعد المهمة التي لا غنى للإنسان عن الاستئانة بهداها.

القاعدة الأولى: قاعدة الإيمان والتسليم بما جاء عن الخالق العليم.

هذه القاعدة من القواعد المهمة في بيان صدق المؤمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند ربه، والإيمان بمعجزاته، لأنه مؤيد من الله تعالى، ولا سيما معجزته الخالدة القرآن الكريم، والتسليم بذلك دون ريب ولا تردد، لأن ذلك يدل على حقيقة تسليم المسلم لله باطنا

¹ الجميلي، غانم علون جواد، جذور فضة اليايان، تحقيق سامي بن محمد السلامة، مكتبة العبيكان، ط.

وظاهراً، والإيمان بما أخبر به تصديقاً وإقراراً، بما فيه حادثة الإسراء التي نحن بصددتها في هذه الرسالة.

وللإيمان أركان ستة لا يقوم إلا بها، بينها الله تعالى في كتابه الحكيم، وبينها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خير وشره، وللإيمان بهذه الأركان آثار تربوية كثيرة في حياة الأفراد والمجتمعات، فالإيمان عقيدة تربوية، تقوم السلوك، وتهذب النفوس، وترتقي بالإنسان ليكون منبع خير وإحسان وسعادة لنفسه وغيره، ابتداء من علاقته بأقرب الناس إليه كوالديه وأهله وأولاده وأرحامه وجيرانه وأصدقائه، ومروراً بتعامله مع أبناء وطنه والناس جميعاً على اختلاف شعوبهم وأعراقهم.

تعريف القاعدة وأهميتها التربوية:

(أ) تعريف الإيمان لغة:

الإيمان لغة: مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن¹.

قال الزبيدي: الإيمان هو التصديق وهو الذي جزم به المخشري في الأساس واتفق عليه أهل العلم من اللغويين وغيرهم، وقال السعد رحمه الله تعالى: إنه حقيقة، أي ليس مجازاً².
بينما ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى أن أصلح تعريف للإيمان من جهة اللغة هو الإقرار.

قال رحمه الله: "ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد³.

¹ محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، الكتاب: تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، 2001م، الجزء 15، ص 368.

² البشير بن محمد عصام المسفيوي المراكشي، شرح منظومة الإيمان، ص 33.

³ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م (الجزء 7، ص 638).

واستدل على ذلك بأن اشتقاق الإيمان من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد¹.

كما استدل على ذلك أيضا بأن لفظ التصديق يتعدى بنفسه فيقال: صدقته ولا يقال: صدقت له، بخلاف لفظ الإيمان فإنه يتعدى باللام دائما؛ فيقال: آمنت له كما يقال: أقررت له، ولا يقال: آمنت قط، كما أن الإيمان ليس مرادفا للفظ التصديق في المعنى، فإن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقت، فمن قال: السماء فوقنا قيل له: صدق، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، ولم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة كقوله: طلعت الشمس وغربت أنه يقال: آمنه².

فالمختار إذاً أن لفظة آمن لغة بمعنى أقر، والإيمان لغة هو الإقرار القلبي، وهذا الإقرار مشتمل على أمرين:

1- اعتقاد القلب وهو تصديقه بالأخبار.

2- عمل القلب وهو إذعانه وانقياده للأوامر.

(ب) تعريف الإيمان اصطلاحاً:

الإيمان اصطلاحاً هو قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالأركان³.

قال ابن تيمية: "ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"⁴.

¹ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، الصارم المسلول على شاتم الرسول، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية (ص 519).

² المرجع الأسبق، ج 7 ص 290 و 291.

³ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188هـ)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة الثانية - 1402 هـ - 1982، الجزء 1 ص 445.

⁴ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م، الجزء 3، ص 151.

والإيمان جاء مفصلاً في السنة النبوية في حديث عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ حَيْرِهِ وَشَرِّهِ»¹.

يعلّمنا النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف أهمية الإيمان في حياة المسلم، وكيف عرف الصحابة معنى الإيمان عن طريق المعلم، وكيف تعلم المعلم عن طريق التعلم، وكيفية تأدب المتعلم مع المعلم، وكيف كانت هيئة المعلم والمتعلم من الأدب وحسن الاستماع والإنصات، وكلها أمور تربوية تعين المسلم على معرفة أهمية الإيمان، حيث علمهم جبريل عليهم السلام بسؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، بما يحقق لهم معرفة أمور لم يكونوا يعلمونها.

والإيمان بالله تعالى هو الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، قال سبحانه: [فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا] [سورة الروم 30]، وعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ذات يوم في خطبته: "ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نخلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً الحديث²، وهذه الفطرة سليمة من الزيغ والانحراف ولا يحرفها عن استقامتها إلا التربية المنحرفة³.

والإيمان بالله يتضمن أموراً عدة، هي:

الأول: الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى.

¹ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الجزء 1، ص 36

² محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: 741هـ)، مشكاة المصابيح، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الثالثة، 1985، الجزء 3، ص 1476.

³ الدكتور حسن بن علي بن حسن الحجاجي، الفكر التربوي عند ابن رجب الحنبلي، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع جدة، ص 64.

الثاني: الإيمان بانفراده بالربوبية.

الثالث: الإيمان بانفراده بالألوهية.

الرابع: الإيمان بأسماء الله وصفاته بإثبات ما أثبتته سبحانه لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به¹.

الآيات الدالة على قاعدة الإيمان في سورة الإسراء:

اشتملت سورة الإسراء على آيات كريمة عدة تأمر الناس بالإيمان بالله تعالى، وتحت عليه. قال الله عز وجل: [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ] [سورة الإسراء: 1]، في فاتحة هذه السورة ينزه الله نفسه عما لا يليق به، ويثبت لنفسه صفات الكمال ونعوت الجمال، فهو المعبود لا شريك له، وذلك يقتضي الإيمان به ظاهراً وباطناً، تسليماً وتصديقاً، إيماناً ويقيناً، علماً وخضوعاً، حبا وصدقاً، فالله عز وجل منزّه عن كل شريك وند وصاحبة ونصير وغيره مما يوجد في العالم العلوي والسفلي، وهو الذي يسبحه الخلق لعظمته وسطوته وجبروته وقوته، قال الله عز وجل: [تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ] [سورة الإسراء: 44]، وقد افتتح الله سبحانه وتعالى سورة الإسراء بتنزيه نفسه العلية المقدسة وختمها بالتنزيه، فقال جل شأنه في ختام السورة: [وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرًا] [سورة الإسراء: 111]. ومن صور تنزيه الله سبحانه وتعالى تنزيهه عن الند والشريك بإفراده بالعبادة، قال تعالى: [وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ] [سورة الإسراء: 23]، ومن أهمها أداء الصلوات في أوقاتها، مرتجياً الأجر والثواب، قال تعالى: [أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا] [سورة الإسراء: 78]، واللجوء إليه في الرخاء والشدة بالدعاء والتضرع، والتقرب إليه بأسمائه الحسنى، قال سبحانه: [قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ] [سورة الإسراء: 110]، والفطرة البشرية تعلم علم اليقين بأنها في الشدائد لا تلجأ إلا إلى الله؛ لأنه هو سر سعادتها ونجاتها، ومن دونه لا يملكون شيئاً، قال جل شأنه: [وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ] [سورة الإسراء: 67]،

¹ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، شرح الأربعين النووية، الناشر: دار الثريا للنشر، ص 34

وقال تعالى: [قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا] [سورة الإسراء: 78].

الآيات القرآنية الأخرى والأحاديث النبوية الدالة على القاعدة:

قال الله تعالى: [آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ بِهِ وَكُنْتُمْ لَهُ وَرُسُلَهُ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ] [سورة البقرة: 285].

وقال سبحانه: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] [سورة البقرة: 277].

وقال تعالى: [رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ] [سورة آل عمران: 53].

وقال عز وجل: [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] سورة التوبة

وقال تعالى: [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ] [سورة المؤمنون: 1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»¹.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»².

¹ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب شعب الإيمان برقم: (35) .

² أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب من قال إن الإيمان هو العمل برقم (26) ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (83).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»¹.

* الآثار التربوية للإيمان:

إن الآثار التربوية في قاعدة الإيمان كثيرة، وقد أولاهما العلماء عناية كبرى، منها أن المؤمن يتربى على المراقبة الذاتية التي تزيد في إيمانه، وتجعله يحسن التعامل أولاً مع نفسه بتربيتها على ما يرضي الله تعالى في أقواله وأفعاله، وأيضاً يؤثر بمن حوله بحسن تعامله في بيته مع أهله وأولاده، وفي منطقتة بتعامله مع جيرانه، وفي وطنه بالتعامل الحسن مع أبناء وطنه، وفي المسجد إذا كان خطيباً أو إماماً أو محاضراً، وفي الوظيفة يصل بمراقبته الذاتية إلى أن يكون قدوة فيعلم غيره الأمانة والأخلاق الحميدة.

أولاً: آثار الإيمان التربوية على الفرد:

الإنسان المسلم عندما يؤمن بالله عز وجل ويوحده، فإن ذلك يكون ظاهراً على حياته اليومية، حيث يعيش مطمئناً في حياته العملية والعلمية، مؤمناً بأن مقادير الأمور بيد الله تعالى ذو القوة المتين، متوكلاً على الله في جميع أموره، لأنه يعلم علم اليقين أن هناك رازقاً يسوق إليه رزقه، وحافظاً يحفظه من سوء، ودافعاً للضرر عنه، وهو الله سبحانه وتعالى المستحق للعبادة والتأليه، فيوحد هذا الإله الذي ليس هناك إله غيره.

ومن هذه الآثار على الفرد:

أ- المسلم يؤمن بأن الكون له إله واحد، فيسلم من الشكوك والقلق والحيرة تجاه هذا التساؤل الكبير، قال تعالى: [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ] [سورة الإسراء: 99]، وقال جل شأنه في إثبات وحدانيته وأن لا إله إلا للكون غيره: [قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا] [سورة الإسراء: 99]، فيجب أن لا يشرك معه أحد؛ فينتج عن ذلك

¹ أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان برقم (15)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان رقم (60).

أن يعيش المسلم في يقين يثلج صدره، في راحة نفسية بعيدا عن القلق والاضطراب، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة".¹

ب- حسن التجاء العبد إلى خالقه الذي بيده رزقه، فهو لا يخاف من أمور العيش في حياته، بل يأخذ بأسباب الرزق، ويفوض أمره إلى الله، موقنا أن الرزق بيده، وهو أحكم الحاكمين، فيكون قنوعا راضيا، قال تعالى: [إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا . وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا] [سورة الإسراء: 30 و 31] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا"².

ت- حسن عبادة الله تعالى، والاستزادة من الأعمال الصالحة التي تقربه إلى الله زلفى، فهو يعبد الله تعالى خاشعا متذللا له، متقربا إليه بأنواع القربات، وهو الجانب الروحي الذي يبحث عنه كثير من الناس الذين فقدوه في حياتهم، ولم يهتدوا إلى الإيمان بالله عز وجل ، قال الله تعالى مبشرا المؤمنين: [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا] [سورة الإسراء: 9] ، وقال تعالى : [مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً

¹ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الجزء 4 ، ص 2068.

² محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ) تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عاجلها الإسلام، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى - 1405 هـ - 1984 م عدد الأجزاء: 1، ص 24.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [سورة النحل: 97]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (حيثما كنتم، فأحسنتم عبادة الله؛ فأبشروا بالجنة)¹.

ثانيا: آثار الإيمان التربوية على الأسرة:

الأسرة عندما يكون جميع أفرادها مؤمنين بالله سبحانه فإنهم يوفقون للألفة والمحبة فيما بينهم، وإذا حصل أي نقص من أحدهم فإن كل فرد في الأسرة يكمل الآخر، بالتذكير بالإيمان بالله، وما يقتضيه ذلك من القيم الفاضلة والمعاني السامية، كتقوى الله تعالى والقناعة والرفق والتعاون والعفو والصفح، فتعيش الأسرة متماسكة في قوة وثبات، وإن العبادات في الإسلام تتضمن كل سلوك حسن، وكل ما يقوم به المسلم من عمل نافع عبادة².
ومن هذه الآثار على الأسرة:

أ- تقوية إيمانها بالله تعالى، وتعليم الوالدين من الأب والأم أو إذا أعانهم الأبناء على الإيمان الصحيح، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: [فطرة الله التي فطر الناس عليها] [الروم: 30] الآية³.

ب- عدم انحراف الأبناء خلقيا وسلوكيا لصلتهم بالله تعالى عن طريق الإيمان به عز وجل، وتركز التربية الإسلامية على الناحية العملية؛ لأنها تحرص على تغيير سلوك الفرد مع تعليمهم الأمور النظرية، وتنميته نحو الأفضل⁴.

¹ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، الجزء 7، ص 408.

² عاطف السيد، التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، الناشر: حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ص 124.

³ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ، الجزء 2، ص 94.

⁴ عاطف السيد، التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، الناشر: حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ص 25.

ت- الأسرة تعيش وحدة اجتماعية لا يسودها تفرق ولا شتات، فالفرد ينشأ في الأسرة، ثم يكون أسرة، ومجموع الأسر تكون المجتمع، لهذا فالفرد يؤثر في المجتمع، والمجتمع يؤثر في الفرد بصفة أقوى¹.

والوحدة المجتمعية تكون بالترابط وإدخال جو من السرور والفرح والسعادة بالإيمان بالله تعالى وإدراك أهميتها؛ لأن بها تسعد الأسرة والفرد من خلال هذه التربية الدينية.

ثالثاً: آثار الإيمان التربوية على المجتمع :

إذا كان أساس الفرد والأسرة في تعلم أحكام الدين والتي منها الإيمان صحيحاً كما جاء به الرسل ، فهنا يصبح المجتمع متماسكاً قوياً ، لا يتأثر بما يحصل في الديانات الأخرى من تخطئ وتفرق وسوء ظن بالله ، لأنه يؤمن بهذا الركن الرئيسي الذي تمسك به المجتمع المسلم وهو الإيمان بالله تعالى، فيكون المجتمع متفوقاً تربوياً بين أبنائه بسبب الإيمان، فالمجتمع ينشر الخير والسلام بين المجتمعات الأخرى لتحقيق الإيمان الذي من فضائله التعاون مع الآخرين بالبر والتقوى .

والإيمان لا يقتصر أثره على الإنسان وحده، بل يجعله عضواً نافعا في المجتمع، فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»². السنة المحمدية تأمرنا في هذا الحديث بمنهاج تربوي اجتماعي يجعل الروابط الاجتماعية تكون أكثر قوة، بحيث أن كل شخص يحب الآخر، ويتنازل عن بعض حاجاته ليجعل غيره سعيداً بهذا التوجه النبوي، ونتيجته زيادة الإيمان والأجر، وانتشار التماسك الاجتماعي، وأيضاً تنازل الشخص يجعل كل منهما يكتسب صفة التكافل والتعاون التي تصل بالمجتمع إلى المحبة والتآلف. قال الأنصاري : إن من خصال الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، ويستلزم ذلك أن يبغض له ما يبغض لنفسه، وبهذا تنتظم أحوال المعاش والمعاد، ويجري الناس على مطابقة قوله

¹ محمد طاهر الجوابي، المجتمع والأسرة في الإسلام، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثالثة 1421 هـ - 2000 م ، ص 15 .

² محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422 هـ، الجزء 1 ، ص 22 .

تعالى: (وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)، وعماد ذلك وأساسه: السلامة من الأمراض
القلبية، كالحسد وغيره¹.

وهنا يتبين أهمية الإيمان، سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي، حيث إن المحبة تزيد من الحياة
السعيدة التي لا يشوبها تفكك المجتمع، كما أنه يجعل المسلم يعيش في سرور وطمأنينة وارتياح
نفسي.

¹ إسماعيل بن محمد بن ماضي السعدي الأنصاري (المتوفى: 1417هـ)، التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثاً
النووية - ومعها: شرح الأحاديث التي زادها ابن رجب الحنبلي، طبع على نفقة: محمد عبد الرؤوف المليباري،
صاحب المكتبة السلفية بالرياض الناشر: مطبعة دار نشر الثقافة - الإسكندرية، الطبعة: الأولى، 1380 هـ، الجزء
1، ص 31.